سلسلة إحياء تراجم ابن تيمية المتفرقة

٤

قطعة من مكتوب
الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مرّي الحنبلي

أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية
كتبه الى حنابلة دمشق يعزيهم بالمصاب بالشيخ ويوصيهم
بنسخ تاليفه من مسوداته والاحتفاظ بها وبمراجعة
الإمام ابن القيم ويبشرهم بالعاقبة الحسنة
ويذكرهم باخلاق الشيخ ومشربه عليه الرحمة والرضوان

تقديم وتحقيق
محمّد بن ابراهيم الشيباني

مكتبة ابن تيمية
الكويت

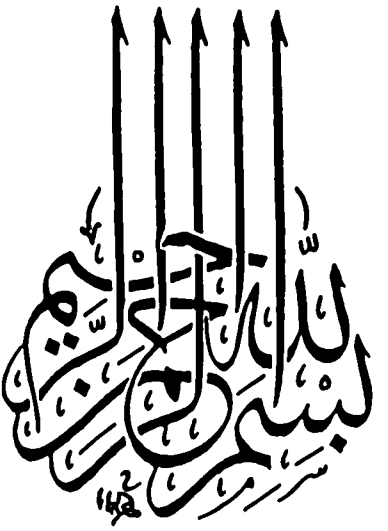
بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

مكتبة ابن تيمية
النقرة - شارع ابن خلدون
عمارة القاضي . ت٢٦٤٠٠٣٦
ص.ب ٣٣٠٦٣ الروضة 73451 الكويت

مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد .

بعد وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة ورزقه الفردوس الأعلى على ما قدم من علوم وأخَّرَ ـ كتبت في حياته وأعماله وعلومه مؤلفات كثيرة ، وتراجم متنوعة ، ومراثٍ محزنة ، وأشعار بليغة بينت أهمية علومه ، ونقاوتها ، وفائدتها للدارسين من العلماء وطلاب العلم والصالحين ، ولأصحاب الطريقة المثلى ، طريقة النبي ﷺ ، قائد الطائفة المنصورة في كل عصر ومصر ، التي رغب ، عليه السلام ، بشدة في الانضمام إليها ومتابعتها «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين عضوا عليها بالنواجذ» وقال :« لا تزال طائفة من أمتي منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم الدجال » .

وفي شخصية هذا الرجل الدعوية ـ الجهاد باللسان والسنان ـ ما أعجب الدارسين في كل زمان ومكان ، والتي من أخذ بها في دعوته إلى الله تبارك وتعالى رشد ووفق ، لأنها مأخوذة من دعوة سيد ولد آدم فقهاً وعلماً ـ وحنانيك إن لم يك شيخ الإسلام قد فهم دعوة رسول الله ﷺ فمن فهمها ؟!..

كتب الكثيرون في شخصيته وعلمه ، ولكن هذه الورقات التي بين

أيدينا والتي وقفنا عليها أثناء بحثنا عن التراث المخطوط في مصر الزاهرة في مكتبة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ، وهي من نقل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي [1] ، رحمه الله ، من مجموع بديع لشيخ الإسلام [2] ، والمخطوط نادر المستوى ؛ فهو ليس كتاباً أو رسالة تتحدث عن موضوع من الموضوعات العلمية ، أو تتكلم على ترجمة للشيخ ، وإنما هي مكتوب ـ رسالة بريدية ـ بعثها إلى تلامذة الشيخ بعد وفاته يحثهم على الإسراع في جمع مؤلفاته قبل أن يدب الكسل في القلوب والأجساد ، وقبل فوات الأوان وضياعها أو تفرقها بحيث تصير مجهولة المصير . ونجمل ما في هذا المكتوب من فوائد وعبر في الآتي :

أولاً : تسلية لأصحاب الشيخ من كاتب هذه السطور ، وعلى رأسهم ابن القيم ، تلميذ الشيخ ، رحمهما الله تعالى .

ثانياً : تذكيرهم بقول الله تعالى في سورة «آل عمران»[3] بما حصل من حكم أربع في غزوة أحد التي انتصر فيها المسلمون بداية وهزموا وسطاً ، وانتصروا أخيراً .

ثالثاً : حثهم على جمع كتبه وعدم التقاعس والكسل والتشاغل عنها بغيرها .

رابعاً : التركيز على بعض الكتب المهمة كمصنف «الرد على الفلاسفة»

---

(١) نسخة مستخرجة من خط الشيخ جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ في مجلس من ذي القعدة بعد ظهر الإثنين عام ١٣٢٣هـ وتمت على يد الشيخ محمد حامد الفقي في العام نفسه (للشيخ جمال الدين القاسمي ، ترجمة طيبة كتبها شيخ الباحثين محمد كرد علي رحمه الله ـ في مجلة المقتبس ١٠٥/٨ ـ ١١٠) وهناك (ترجمة أخرى له كتبها ظافر القاسمي في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٤٥/٣٥ ـ ٢٥٢) .

(٢) الرسالة الثانية ـ وأصل المخطوط ملك الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالى / بجدة .

(٣) آية : ١٤٠ ـ ١٤١ .

خشية من الضياع ، وبيان نسخ هذا الكتاب المتفرقة بين الأصحاب .

خامساً : حثهم المؤلف على الرجوع إلى أبي عبدالله ابن القيم والاستفادة منه في بقية حياته .

سادساً : يبيّن لنا المكتوب أن هناك جماعة للشيخ موجودة بكثرة ، ناصرة لكتاب الله وسنة نبيه ، جاعلة كتب الشيخ لها طريقاً لفهمها .

سابعاً : فيه دليل ورد على أهل الزيغ والباطل من الصوفية والفرق الباطنية وغيرهم فيما أشاعوه أنه بموت ابن تيمية مات علمه الذي تركه .

ثامناً : نبذة عن كتب الشيخ ، وكيفية حفظها من قبل أصحابه وخشية وقوعها في يد أعدائه ، وكيف كان أعداؤه يتعاملون معها بالتلف والحرق والتخزين - حبسها عن الناس .

تاسعاً : يلاحظ في عبارات المؤلف الحزن والتألم وبيان أن مكانه لم يسد بغيره .

عاشراً : في التركيز عليهم أخذ طريقة السلف ، التي أحياها الشيخ في حياته .

حادي عشر : ركز المؤلف في أكثر من موطن في المكتوب على اغتنام الفرص والأوقات وعدم تضييعها في غير المفيد .

ثاني عشر : وبين المكتوب «أن لا تحزنوا فإن كتب الشيخ سيقرؤها أناس لا زالوا في أصلاب آبائهم » .

☆ المخطوط :

نسخة مستخرجة ومصححة من خط الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله ، استخرجها من مجموع بديع لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، منقولة من

نسخة نقلت من خط قائلها الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مرّي مخرومة من أولها مع محو في أثنائها . وقد بذل الشيخ جمال الدين رحمه الله الجهد في تصحيحها وعارضها بأصلها في مجلس في ١٣ من ذي القعدة بعد ظهر الإثنين عام ١٣٢٣هـ . وقد آلت هذه النسخة إلى الشيخ المجاهد حامد الفقي . والنسخة خطها جميل جداً نسخ واضح وعليها بعض الإحالات والتعليقات من قبل الشيخ جمال الدين . وتتكون من ثلاث لقطات (٦ صفحات) .

فقمنا بتحقيقها والتعليق عليها من جديد فخرجت بهذه الصورة التي يراها القارىء بين يديه .

والنسخة توجد لها صورة بحوزة مركز المخطوطات والتراث والوثائق في جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت .

☆ ترجمة المؤلف:

لم أجد للمؤلف ترجمة في كتب التراجم المعروفة لدى أهل العلم والبحث والتحري ، مما أثار استغرابي . اللهم إلا كلمة قصيرة من ابن كثير الدمشقي ، رحمه الله ، في البداية والنهاية ١١٧/١٤ :

« .... وفيها منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية وعزره القاضي المالكي بسبب الاستغاثة ، وحضر المذكور بين يدي السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سافر إلى الشام بأهله فنزل ببلاد الخليل ، ثم انتزح إلى بلاد الشرق وأقام بسنجار وماردين ومعاملتها ، يتكلم ويعظ الناس إلى أن مات رحمه الله كما سنذكره » . ولكن أين سيذكره ابن كثير ؟! لأنه بانتهاء الجزء الرابع عشر ينتهي التاريخ والله عز وجل أعلم .

☆ المكتوب :

كما بيّنت آنفاً أن هذا مكتوب وليس رسالة تناقش أحَدَ الموضوعات

العلمية ... إلخ . إنما هو مجرد رسالة بريدية أرسلت إلى تلامذة الشيخ بعد وفاته . رحمه الله ، ولهذا يعد هذا المكتوب وثيقة ، أي أنه يدخل في التصنيف في الوثائق وليس في الكتب المخطوطة . ولهذا فالوثائق ليست لها نسخ أخرى متعددة كحال المخطوطات ، أو كحال وثائق الزواج والبيع والشراء .. في عصرنا هذا إذ يكون لها أكثر من نسخة . فالمكتوب فريد وحيد مهم . والله أعلم بالصواب .

كتبه لكم

محمد بن إبراهيم الشيباني

وفرغ منه في السادس من شهر رجب الفرد

لسنة ١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ايها الاخوان ٠)

لا تنسوا قريت شيخنا الى ذق الناقد الصادق قدس الله روحه لمعاني قوله تبارك وتعالى في بيان الحكم الاربع التي اودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر الرسول في يوم احد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فلا تهملوا امر الفكرة الصالحة في هذه المعاني الشريفة وغيرها، ولا تجزعوا لما حصل فان الله حي لا يموت، وهو متكفل سبحانه بنصر الدين واهله، والمخبر لعباده فيما يبتليهم به والخبير بجملة مصالحهم والرؤف بهم، والهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم، ولا يهلك على الله الا هالك، والسعيد من قام بما عليه الى وفاته، ومن اراد عظيم الاجر التام، ونصيحة الانام، ونشر علم هذا الامام، الذي اختطفه من بيننا محتوم الحمام، ويخشى دروس كثير من علومه المتفرقة الفائقة مع تكرور الليالي والايام، فالطريق في حقه هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار على جليتها من غير تصرف فيها ولا اختصار، ولو وجد فيها كثيرا من التكرار، ومقابلتها وتكثير النسخ بها واتساعها، وجمع النظائر والاشباه في مكان واحد، واغتنام حياة من بقي من اكابر الاخوان، فكانا جميعا بكمال الفوت وقد حان، ويكفينا عندنا من عظيم الاسف، فلو جد الله معشر الاخوان لا تعاملوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقت الذي قد سلف، فاغتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل، ولا تشاغل ولا بخل، لان هذا المهم الكبير احق شيء يبذل في تحصيله المال الكثير، وقد علمتم مضرة التعليل والتسويف وكون ذلك من اكبر القواطع عن مصالح الدنيا والآخرة، فاحتفظوا بالشيخ ابي عبد الله ايده الله وبما عنده من الذخائر والنفائس، واقيموه لهذا المهم الجليل باكثر ما تقدرون عليه ولو تالمتم احيانا من مطالبته لانه قد بقي في فنه فريدا، ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الاطلاق، وكل احوال الوجود لابد فيها

على ما فرطنا

ان حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مامولة لاكتساب الفارطات الثمانيات، وتكميل الغايات والنهايات

(١) يعني ابن القيم اجل تلامذة شيخ الاسلام ابن

والقوة الا بالله غير ان الاشياء المقدرة تفتقر الى اسبابها المعلومة وبهذا كان
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت
اكبر اسباب النصرة في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جلية مصارع القوم
ولما التزمه ابو بكر من ورائه قائلا له يا رسول الله اهكذا مناشدتك ربك فانه وافٍ لك
بما وعدك لم يترك استغاثته به لعلمه ان الامور المقدرة لابد ان تقع باسبابها اللازمة
لها المعروفة بها ومصداق ذلك ما انزله سبحانه في تقرير هذه الامور وتحقيق
هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة
مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله) ~~وهذا~~
~~هو نهاية مطلب ان الله عزيز حكيم~~ لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة
ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب
هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلا شك
اعلا مراتب العبودية وانفعها وارفعها في حق مجموع البرية فاكثروا من استعمال
هذا الامر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل،
الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلامه على جميع الصالحين

نقلت من نسخة ~~مطبوعة~~ من خط قائلها الشيخ الامام الزاهد شرف الدين احمد مري
مخرومة من اولها مع محو في اثنائها وقد بذل
الجهد في تصحيحها الفقير جمال الدين القاسمي
الدمشقي وعارضها باصلها
في مجلس في ١٣ ذي
القعدة بعد ظهر
الاثنين عام
١٣٢٣

تمت على يد جامعها الفقير
في ذي القعدة ١٣٢٣

نص المكتوب

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان :

لا تنسَوا تقريراتِ شيخِنا الحاذقِ الناقدِ الصادقِ قدَّسَ اللهُ روحَه لمعاني قوله تبارك وتعالى في بيان الحِكم الأربع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عَسْكَرِ الرسول في يوم أُحدٍ ، وهي قوله تعالى ﴿وليَعْلَمَ الذينَ آمنوا ويتخذَ منكم شهداءَ واللهُ لا يحبُّ الظالمين وليمحص اللهُ الَّذين آمنوا ويمحقَ الكافرينَ﴾[1] فلا تُهملوا أمرَ الفكرة الصالحةِ ، في هذه المعاني الشريفة وغيرها ، ولا تجزعوا لما حَصَلَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يموتُ ، وهو المتكفلُ سبحانه بنصرِ الدِّين وأهلِه، والمختبر لعبادِه فيما يَبْتليهم بِهِ، والخبير بجملةِ مصالحهم، والرؤوف بهم، والهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم، ولا يهلك على الله إلا هالك، والسعيد من قام بما عليه إلى وفاته ، ومن أراد عظيم الأمر التام ، ونصيحة الأنام ، ونشر علم هذا الإمام ، الذي اختطفه من بيننا محتوم الحِمام ، ويخشى دُروسَ كثيرٍ من علومِهِ المتفرقةِالفائقةِ ، مع تكررِ مرورِ اللَّيالي والأيام ، على جليتها من غيرِ تصرُّفٍ فيها ولا اختصار ، ولو وجَدَ فيها كثيراً من التكرار ، ومقابلتها وتكثير النَّسْخِ بها وإشاعتها ، وجمع النظائر [2] والأشباهِ في مكانٍ

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤١

(٢) الأصل : النظاير . والأشباه والنظائر :« فن عظيم ، به يطلعُ على حقائق الفقه ومداركه ، ومآخذه وأسراره ، ويتمهر في فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على ممر الزمان : الفقه معرفة النظائر . .»

كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :« أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة =

واحدٍ ، واغتنام حياةِ من بقي من أكابر الإخوان ، فكأننا جميعاً بكمال الفَوْت وقد حان ، ويكفينا ما عندنا (على ما فرطنا) [٣] من عظيم الأسفِ ، فلِوجْهِ الله معشرَ الإخوانِ لا تعاملوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقتَ الذي قد سلف [٤] (فإن حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولةً لاستدراك الفارطات [٥] الفائتات ، وتكميل الغايات والنهايات) ، فاغتنموا تحصيل كلِّ مهمةٍ في وقتها بلا كسل ولا مَلَلٍ ، ولا تشاغُلٍ ولا بخل . لأن هذا المهم الكبيرَ أحقُّ شيء يُبْذَل في تحصيله المالُ الكثير ، وقد علم مضرةَ التعليل والتسويف وكون ذلك من أكبر القواطعِ عن مصالح الدنيا والآخرة، فاحتفظوا بالشيخ أبي عبدالله [٦]، أيده الله وبما عنده من الذخائر والنفائس ، وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألتم أحياناً من مطالبته لأنه قد بقي في فنه فريداً ، ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق ، وكل أحوال الوجود لابد فيها من العوارض والأنكاد ، فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وانهضوا بمجموع كلفته فإن الشدائد تزول، والخيرات تغتنم، فاكتبوا ما عنده وليكتب ما عندكم، وأنا أستودع الله ما عنده ، وأوصيه بالصبر أيضاً وبمعاملة اللهِ سبحانه فيما هو فيه ، وإن قصر الإخوان في حقه ، وليطلب نصيبَهُ من الله تعالى متكلاً عليه في رزقه المضمون ، ومجملاً في الطلب ، لأن ما قسم لابد أن

= فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، لا يمكنك قضاء قضيته . راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن تراجع الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم فيما يختلج في صدرك ، مما لم يبلغك في الكتاب والسنة ، اعرف الأمثال والأشباه ، ثم قس الأمور عندك ، فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى » . قوله « فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق » إشارة صريحة إلى أن من النظائر ما يخالف نظائره في الحكم لمدرك خاص به ، وهو الفن المسمى بالفروق ، الذي يذكر فيه الفرق بين النظائر المتحدة تصديراً ومعنى ، المختلفة حكماً وعلة » . قاله السيوطي في (الأشباه والنظائر) ص ٧٠٦ .

(٣) إحالة من المؤلف صحيحة في جانب الصفحة .

(٤) كذلك إحالة أخرى صحيحة .

(٥) الفارطات : هي الناقصات والضائعات من الأوقات والأشياء (القاسمي) .

(٦) يعني ابن القيم أجلّ تلامذة شيخ الإسلام أهـ (القاسمي) .

يكون ، وإنما أحث هممكم الصالحة على تحصيل كراريس «الرد على عقائد الفلاسفة» لأنَّهُ ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخرستان الشمالي من مدرسة شيخنا، وأخبرني الشيخ شرف الدين[٧] رحمه الله تعالى أنه أودع المجموع في مكان حريز[٨] ، وقد شح عليّ بإنفاذ هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام ، ولا قوة إلا بالله ، والكراس الرابع منها أخذه أبو عبدالله من يدي وهو عنده ، ونسخة الأصل التي بخط الشيخ هي في القطع في الكبير ، وكانت هناك أيضاً ، وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة، فأوصلوا ذلك إلى أبي عبدالله، ليُكمل النسخة إلى عند قوله، فهذا باب، وذاك باب، والله أعلم بالصواب. وللطوسي نسخة بخط كَيِّس ، وكملوها، لأنه مؤلف لا نظير له ، ولا يكثر الفلاسفة مثله . ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شتاتها ، ونعوذ بالله من عوارض القواطع وآفاتها ، لأن الفَوْتَ صعب ، وغائلة التفريط رد به ، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة ، وما يعقلها إلا العالمون ، وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكاملة والمقصرون كما ندم المتخيلون بطول حياة الشيخ والمغترون ، وهذه الأمور قد أشرت إليها في هذه الأوراق الخفيفة[٩] هي أعلى[١٠] أبواب النصيحة وأتمها فيما أعلم ، لأن الذاهب مضى ، والوقت سيف منتضى ، وكل من ذهب بعده من أكابر الإخوان ما عنه عوض ، والدهر في إدبار ، والشرور في زيادة ، وإذا جمعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة ، ونقل من المسوَّدات ما لم يُنْقَلْ ، وقُبِلَ رأيُ أبي عبدالله في ذلك كله ، لأنه على بصيرة من أمره ، وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح المفردة التي قد انقطعت مادتها ، وقوبل كل ما يكتب مع أصلح الجماعة ، أو على

---

(٧) الشيخ شرف الدين هو أخو الشيخ ابن تيمية - عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني . (٦٩٦ - ٧٢٧هـ) شذرات الذهب ، (٧٦/٦ - ٧٧) .

(٨) حريز : مضمون ، لا يعرف مكانه أحد .

(٩) الخفيفة : يعني بها العليلة . وكما يقولون خير الكلام ما قل ودل .

(١٠) الأصل علاء .

نسخة الأصل ، وروجع شيخنا الحافظ (جمال الدين) [١١] الذي هو بقية الخير لثقته وخبرته وشفقته وتحرقه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود ، ولسعة علمه وإحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف ، وروجع الشيخان الصالحان ، الفاضلان المحققان شرف الدين (القاضي شرف الدين) [١٢] و (شمس الدين بن أبي بكر) [١٣] فإنهما أحذق الجماعة على الإطلاق في المناهج العقلية وغيرها ، وأذكرهم للمباحث الأصولية فيما يشتبه من المقاصد خوفاً من التصحيف وتغيير بعض المعاني ، وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضاً ، كان في ذلك خير كثير ، واستدراكٌ كبير ، إن شاء الله تعالى .

(والشيخ أبو عبدالله) [١٤] سلمه الله ، فهو بلا تردد واسطة نظام هذا الأمر العظيم فأعدوه وأزيلوا ضرورتَه ، وأجمعوا همته ، واغتنموا بقية حياته ، واقبلوا نصيحتي فيما الحقيقة من هذا كله كما كنت أتحقق .

إن اغتنام أوقات الشيخ وجمعها على التأليف والإتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المفاكهة اللذيذة والمنادمة ، والنفوس فرطت كثيراً في ذلك الحال . والله المسؤول [١٥] بأن يكفها مضرة كال الفَوْتِ الذي لا عوض عنه بحال ، إنه رؤوف [١٦] رحيم ، جوادٌ كريمٌ ، فإن يسر الله تعالى وأعانَ على هذه الأمور العظيمة صارت إنْ شاء اللهُ مؤلفات شيخنا ذخيرةً صالحةً للإسلام وأهلِه ، وخزانةً عظيمة لمن يؤلف منها وينقل ، وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ، ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى : قال ﷺ :

---

(١١) جمال الدين الحافظ المزي (٧٤٢هـ) .

(١٢) القاضي شرف الدين بن عبدالله بن شرف الدين حسن بن الحافظ أبي موسى (٧٣١هـ) .

(١٣) شمس الدين بن أبي بكر (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن معالي بن إبراهيم بن زيد الأنصاري الخزرجي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن المهيني) صحب الشيخ ابن تيمية (ت ٧٥٥هـ) الشذرات ١٧٩/٩ .

(١٤) يعني ابن القيم ـ رحمه الله .

(١٥) الأصل : المسؤل .

(١٦) الأصل رؤف .

« لا يـزال الله يغرس في هـذا الـدين غرساً يستعملهم فيـه بطـاعـة الله » [١٧] وقال: « لا تزال طائفـة من أمتي ظـاهرين على الحق لا يضرهم من خـذلهم ولا من خالفهم حتى تقومَ الساعة » [١٨] والله سبحانه يقول في كتابه : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [١٩] وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبلـه فكـذلـك ينتفع بكلام من بعـده إن شـاء الله تعـالى ، فـاتبعوا أمر الله ، واقصـدوا رضى الله بجمـع كل مـا تقدرون عليه من أنواع المؤلفاتِ الكبار ، وأشتاتِ المسائل الصِّغـار ، ومن نسخ الفتـاوى المتفرقـة ، وسـائر كـلامـه الـذي قـد مُلِئَ ، ولله الحمـد ، من الفـوائـد والفرائـد والشوارد ، فـأيقظوا الهمم ، وابـذلوا الأموال الكثيرة في تحصيـل هـذا المطلب العظيم الذي لا نصير له ، فهذا هو الذي يلزمنـا من حيث الأسبـاب . والتمام على رب الأرباب ومسبب الأسباب وفاتح الأبواب ، الـذي يقيم دينـه ، وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام، وكل مجزي في القيامة بعملـه ، ومـا ربـك بظلامٍ للعبيـد . وقـد علم أن الإمـام أحمـد بن حنبل كان ينهى في حـال حيـاتـه عن كتـابـة كلامـه ليجمع القلوب على المادة الأصليـة العظمى ، ولمـا توفي استـدرك أصحـابـه ذلـك الأمر

---

(١٧) حسن رواه أحمد ٢٠٠/٤ ، وابن ماجة ٥/١ عن أبي عنبة الخولاني ـ وصحيح الجامع ٢٣١/٦ ، وقد ذكـر ناصرالدين أنه من أحاديث السلسلة الصحيحة ٢٤٤٢/٥ (تخ) .

(١٨) رواه مسلم ١٥٢٣/٣ ، ١٥٢٤ بألفاظ مختلفة غير اللفظ الذي ذكره المصنف هنا .

أ ـ عن قيس بن المغيرة . قـال : سمعت رسول الله ﷺ «لن يـزال قـوم من أمتي ظـاهرين على الناس ، حتي يأتيهم أمر الله ، وهم ظاهرون» .

ب ـ وعن ثوبان . قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تزال طائفة من أمتي ظـاهرين على الحق . لا يضرهم من خـذلهم ، حتى يـأتي أمر الله وهم كـذلـك » . وليس في حـديث قتيبـة «وهم كذلك» .

جـ ـ وعن جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » .

وقد روى هذا الحديث أحمد والبخاري وابن ماجة والترمذي والحاكم وابن حبان .

(١٩) النل : ٨ . والمعنى : أي يخلق ما لا يحيط علمكم به من المخلوقات غير ما قد عـدّده هـا هنـا : في الأرض ، وفي البحر ، مما لم يره البشر ، ولم يسمعوا به (ولعل المراد أنـه تعـالى لا يزال يخلق من وسائل الانتقال ، وأسباب الزينة ما لا يعلمه البشر) زبدة التفسير ٣٤٦ .

الكبير ، فنقلوا علمه وبينوا مقاصده ، وشهروا فوائده ، فانتصرت طريقته ، واقتفيت آثاره . لأجل ذلك الوجود هو على هذه الصفة قديماً وحديثاً ، فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فإنه ولله الحمد مقبول طوعاً وكرهاً ، وأين غايات قبول القلوب السليمة لكلماته ، وتتبع الهمم النافذة لمباحثه وترجيحاته ، ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لِنَصْرِ هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه ، واستخراجِ مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه ، رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم ، وهذه هي سنة الحياة الجارية في عباده وبلاده ، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدَدَه غير الله تعالى . ومن المعلوم أن (البخاري) مع جلالة قدره أخرج طريداً، ثم مات بعد ذلك غريباً، وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا خطر في باله ، ولا مرّ في خياله . من عكوف الهمم على كتابه ، وشدة احتفالها به ، وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن ترتيبه، وجمعه، وجميل نية مؤلفه ، وغير ذلك من الأسباب . ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا (أبي العباس) من هذه الوراثة الصالحة نصيب كثير إن شاء الله تعالى ، لأنه كان بنى جملة أموره على الكتاب والسنة ، ونصوص أئمة سلف الأمة . وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه ، لا يهاب مخالفَةَ أحدٍ من الناسِ في نصر هذه الطريقة ، وتبيين هذه الحقيقة ، وتسهيل العبارات ، وجمع أشتات المتفرقات ، والنطق في مضايق الأبواب ، بحقائق فصل الخطاب ، ما ليس لأكثر المصنفين ، في أبواب مسائل أصول الدين ، وغيرها من مسائل المحققين ، لأنه كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه، ثم يعتضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك وبغيرها، ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه المعقولات ، ويلتزم حَلَّ كلِّ شبهة كلامية وفلسفية كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، ويلتزم أيضاً الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، ويجزم بأن فرض دليلين

قطعيين متعارضين من المحال إن كانا عقليين أو عقلياً ونقلياً ، قال : لأن الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله ، فإمَّا أن لا يكونا قطعيين ، وإمَّا أن لا يكون مدلولاهما متناقضين : وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المتين ، وتقاسيمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي ألفها في دفع «تعارض العقل للنقل»[٢١] فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجباً من عجائب الوجود ، وكان يقول: لا يتصور أن يتعارض حديثان صحيحان قط إلا أن يكون الثاني منهما ناسخاً للأول : قال : والإمام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ، ويلتزم تحقيقه ، وأنا في زمني ألتزم حكم هذه القاعدة أيضاً ، والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها ، وكان رحمه الله ورضي عنه ، يذب عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه ، وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم ، ولا ينثني عما يتحقق عنده ، ولم يزل على ذلك إلى أن قضى نحبه ، ولقي ربه ، فقدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ونصر مقاصده ، وأيد قواعده ، والله سبحانه يعلم حسن قصده ، وصحة علومه ورجحان دليله ، وهو ناصر الحق وأهله ، ولو بعد حين . وجميع ما وقع من هذه الأمور فيه من الدلالة إن شاء الله على شمول أمره ، وظهور كلمة هذه العلوم الباهرةِ أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ، ولا قوة إلا بالله غير أن الأشياء المقدرة ، تفتقر إلى أسبابها المعلومَة ، ولهذا كان الرسولُ ﷺ وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصرة في ذلك اليوم ، بعد أن عرفه الله تعالى ، قبل ذلك ، جلية مصارع القوم . ولما التزمه أبوبكر من ورائه قائلاً له يارسول الله أهكذا مناشدتُك ربَّكَ فإنه وافٍ لك بما وعدك [٢٢] . لم يترك استغاثته بربه لعلمه أن الأمور

---

(٢١) من تحقيق الدكتور رشاد سالم رحمه الله ، التحقيق الأول سنة ١٩٧١م ـ طبع دار الكتب (مركز تحقيق التراث) الجزء الأول . القسم الأول ـ فقط . ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م في عشرة مجلدات والمجلد الحادي عشر للفهارس .

(٢٢) لفظ البخاري ٩٣/٥ عن ابن عباس قال « قال النبي ﷺ يوم بدر : اللهم إني أنشدك عهدك ، ووعدك . اللهم إن شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حَسْبُكَ . فخرج وهو يقول =

المعذرة لابد أن تقع بأسبابها اللازمة لها ، المعروفة بها ، ومصداق ذلك ما أنزل سبحانه في تقرير هذه الأمور ، وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاستجابَ لكم أَنِي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الملائكةِ مُرْدِفين وما جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ به قلوبكُم وما النَّصْرُ إلا من عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ (٢٣) لأنه سبحانه بيّن حكم الأسباب المتقدمة والمتأخرة . ورد الأمر إلى حقائق التوحيد ، بقوله ﴿ وما النَّصْرُ إلا من عند اللهِ ﴾ (٢٤) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب، واتباع هذه الأحكام الثابتة على هذه الصنعة المؤيدة، هو بلا شك أعلى☆ مراتب العبودية ، وأنفعها وأرفعها في حق مجموع

= (سيهزم الجمع ويولون الدبر) .

وفتح الباري ٢٨٧/٧ وقد ذكر ابن حجر عن سعيد بن منصور من طريق عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة قال «لما كان يوم بدر نظر رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم ، وإلى المسلمين فاستقلهم ، فركع ركعتين ، وقام أبو بكر عن يمينه ، فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته : « اللهم لا تودع مني، اللهم لا تخذلني ، اللهم لا تتركني. اللهم أنشدك ما وعدتني » . وعند ابن إسحاق أنه ﷺ قال :« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذّب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . وقال : وعند الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال :« ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يومَ بدر : اللهم إني أنشدك ما وعدتني » قال السهيلي: سبب شدة اجتهاد النبي ﷺ ونصبه في الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب في القتال، والأنصار يخوضون غمار الموت ، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء ، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليزيح نفسه ، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء» . وفي حديث عمر :« اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » . وحديث أنس في مسلم ١٣٦٣/٣ أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد :« اللهم إنك إن تَشَأْ ، لا تعبد في الأرض» . وزاد في مسلم على رواية البخاري «فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه فقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ الآية ، فأمده الله بالملائكة . أهـ .

(٢٣) الأنفال : ٩

(٢٤) الأنفال : ١٠ ـ ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

(☆) الأصل : أعلا .

البرية . فأكثروا من استعمال هذا الأمر الجليل ، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ .

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد
وآله وسلامه على جميع الصالحين ☆☆

☆☆ وقد كتبت في نهاية المخطوط هذه العبارة :

نقلت من نسخة نقلت من خط قائلها الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد مري ، مخرومة من أولها مع محو في أثنائها . وقد بذل الجهد في تصحيحها الفقير جمال الدين القاسمي الدمشقي ، وعارضها بأصلها في مجلس في ١٣ من ذي القعدة بعد ظهر الإثنين عام ١٣٢٣هـ .

وكتب كذلك :

تمت على يد حامد الفقي في ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
ترجمة المؤلف	٨
المكتـوب	٨
نص المكتـوب	١٣
الفهرست	٢٣